وهرع إلى منضدته فى مشربه المعناد ، يتبين الخلان ، ليزف إليهم بشراه ، واقتحم المشرب طلق الأسارير ، ووقف يستجلى من فيه ، فلم يظفر بأحد من رفاقه ، فخطا إلى الساقى يلقى إليه بالنبأ العظيم ، وتركه يتمصص الخبر ، واسترخى هو على كرسيه يستنشى نفحات النسيم ، مطلقا العنان لفكره ، يرتع به فى أخيلة وأوهام .

وهرول الخادم يوزع النبأ يمنة ويسرة بين مصدق ومكذب ، وشهدت الحانة فى تلك العشية مولد جواب آفاق من طراز قشيب سوف يقهر البحار ويكتشف الأسرار ، ويلم بما لم يلم به من سبقه ومن سيتغنيا أثره من بعده فى عالم الترحل والأسفار من أخبار وألطاف

انبثق يوم السفر ، ويالله من يوم بسام المحيا وضاح الجبين .

وأهل « عزب افندى » على عتبة داره فى حلة شوكاء قاتمة الزرقة ، تحاكى فى زيها لبوس النوتى ، وفى يده قبعة بحرية بيضاء ، يتوسطها خطافان متقاطعان ، يحتوى عليهما حبل مجدول ، توشيه خيوط رفيعة ناصعة التذهيب ، وقد انتفش شاربه ، والتمع فى عينيه وميض الرضا والانتصار .

ولحق به خادم كهل ينوء بما حمل من حقائب المتاع ، واتخذ طريقه ثقيل الخطا إلى مركبة الخيل ، فأودعها الحقائب ، ووقف بجانبها موقف الحارس الأمين ، ريثما يستقلها سيده إلى المرفأ الكبير .